كيف ذهبنا فلسطين وكيف عدنا؟

- القيادة تأمر بإنشاء ركن فاروق فى غزة!
- القاعدة فى القاهرة..
- عبد الهادى يقبض على جمال عبد الناصر.
- أهداف الضباط الأحرار..
- السرية المطلقة...
- نظام الخلايا...

www.anwarsadat.org

أن قصة حرب فلسطين على حقيقتها قصة مثيرة مفجعة.. هى مأساة حقا ومأساة من النوع الذى لا ينسى...

ولقد حاولت أن أكتب الصفحات الخاصة بالتمهيد لهذه الثورة فى أثناء حرب فلسطين.. ولكننى أمسكت.. فما أعرفه أنا عن الحقبة المجيدة من حياة شعب مصر وجيشها أعرفه بالسمع، لا بالممارسة والتأثر والانفعال.. وعندما أتذكر ما كنت اسمعه خلال تلك الأيام من مآسى الحرب، وخيانة القيادات، ترتبط هذه الذكريات بأيامى الخاصة، ومتابعى الشخصية إذ كنت إذ ذاك سجينا.. فلم يكفنى حبس حريتى، ولكن كان مقدرا على أيضا أن أحرم من خوض هذه الحرب المقدسة، التى طالما تافت نفسى لخوضها.

وأيام السجن يمكن أن تكون لها صفحات..

وأيام الحرب، لها بدورها صفحات...

وأن ارتاحت نفسى إلى ذكر صفحات من أيام سجنى فى يوم من الأيام، فلن ترتاح لكتابة شىء عن أيام الحرب التى لم أخضها، والتى خاضها زملاء لى، كانبون...

فالى أن يكتب أخى صالح سالم، قصة حرب فلسطين، ساكتفى هنا بالإشارة إليها، أو الإشارة إلى ما سمعته منها من أخوانى وزملائى ضباط وجنود الجيش المصرى الباسل، فى هذه الحرب المقدسة...

الحــرب

والذى لابد من ذكره لكى تستقيم هذه الصفحات هو الصورة الذهنية والعاطفية، لضباط الجيش، ومنهم ضباط مجموعتنا يوم دخولها، والصورة الذهنية والعاطفية لضباط الجيش وضباط مجموعتنا يوم عادوا منها..

أما يوم الخروج للحرب.. فيوم ذاكره مجيدة فى نفوس الضباط والجنود جميعا..

لقد أعلنت الحرب.. وسواء علنها فاروق أم أعلنتها حكومة البلاد القائمة ــ حكومة النقراشى فى تلك الوقت ــ سواء أكان إعلانها خطا، أم كان إعلانها صوابا، وسواء أكان الجيش مستعدا لخوضها، أم لم يكن مستعدا. فالحقيقة الوحيدة هى أن الضباط جميعا لم يفكروا فى شىء من هذا كله.. لم يفكروا فى الخطا أو الصواب لم يفكروا فى احتمال النصر أو احتمال الهزيمة.. ولكنهم فكروا فى شىء واحد فقط.. أن حربا أعلنت

صورة

باسم مصر، وأن جيش مصر يجب أن يخوض هذه الحرب، كأشجع ما تخوض الجيوش حروبها، وان يموت رجاله، ضباطه وجنوده، فداء لكل ذرة من ثرى الأرض المقدسة، ثرى العروبة والمجد والتاريخ والقداسة.

هذا هو ما فكر فيه ضباط الجيش وجنوده، وهذا وحده هو ما جعلهم يندفعون اندفاعا إلى ميدان الشرف، دون نظر إلى الحقائق الأساسية التى تهتم بها كل محارب وخاصة إذا ما أشعرته الظروف بأن قيادته نفسها لم تول الأمر ما هو جدير به من الاهتمام..

فالذين سافروا إلى الحرب سافروا مجردين من اقوى سلاحين يسافر بهما المحارب...

المعلومات الحقيقة أو شبه الحقيقة عن العدو..

والاطمئنان إلى حسن استعداد الجيش نفسه.

والذين سافروا إلى حرب فلسطين، لم يكونوا يعرفون شيئا مطلقا عن جيش اليهود. ولم يكونوا يعرفون شيئا مطلقا أيضا عن جيش مصر نفسه ومدى استعداداته وحقيقة إمكانياته!

ولكنهم سافروا.. سافروا حماسة.. وسافروا دودا عن شرف الوطن الذى ادخرهم للذود عنه.. وقد آن أن يلبوا نداءه المقدس رغم كل شيء...

فى أرض المعركة

وكل ما يفيد الآن فى هذه المذكرات، هو ما شعر به الجيش المصرى فى فلسطين منذ الأسابيع الأولى، من حقائق تثبط أى همة. وتقصم كل ظهر.

فهناك.. فى أرض المعركة، وضع تماما أن كل ما يلزم لجيش يحارب لا وجود له فى جيش مصر.و كل ما يلزم.. من سلاح أو اعتاد أو ذخيرة أو مواصلات..لا وجود لشيء يصلح للحرب أبدا..

وهناك فى أرض المعركة، وضح تماما أنها معركة تسير وفق نظام غريب لم يسبق له مثيل فى تاريخ المعارك الناجحة والفاشلة فى العالم بأسره.. فالجيش يحارب فى فلسطين ولكنه يقاد من القاهرة.. وهو يقاد من القاهرة وتصدر له الأوامر.. أوامر التحرك والهجوم دون نظر لا إلى أصول الحرب، ولا إلى مقدرة الجيش نفسه..

وهناك فى أرض المعركة، وضح تماما أن الإنجليز قد دبروا تدبيرهم لخيانتنا.ز لخيانة هذا الجيش فى معركته الأولى المقدسة. فهؤلاء الإنجليز الذين وعدوا حكومة النقراشى بمساعدة جيش مصر بالسلاح والعناد والذخائر.و قد أمسكوا أيديهم مرة واحدة.. ولم يعطوا الجيش شيئا.

وهناك فى أرض المعركة، وضح تماما أن الإنجليز قد دبروا تدبيرهم خيانة جيش مصر بهذه الوسيلة فقط ولكن بالتدخل المباشر لدى بعض الدول العربية، لكى تحيك بنفسها الفخاخ لجيش مصر..

وركن فاروق

وهناك فى أرض المعركة، شاهد الضباط والجنود المصريون مهزلة المهازل ومأساة المآسى يوم ذهبوا إلى غزة ــ ولم يكن فى غزة حرب ولا قتال ــ وإذا بالأوامر تأتى من قيادتهم بالقاهرة، بإنشاء استراحة لفاروق هناك تسمى" ركن فاروق بغزة"...

هكذا فجعوا فى الحرب من أوائلها..

أما أواخرها فكانت فترة تأمل ويقين..

النتائج.. توحى

وأخرها كانت الفترة التى أدرك فيها ضابط وكل جندى فى جيش مصر.. أن هذه القيادة يجب أن تتغير.. قيادة الجيش وقيادة البلاد...

ما قيادة الجيش، القيادة التى لم يكن لها وجود أبدا.. فلو وجدت أو وجد نوع من القيادة الحقيقة.. لما أمكن أن يهزم جيش مصر أبدا رغم النقص البالغ الذى كان يعانيه فى سلاحه وعتاده..

وليس هذا مجال مناقشة هذه النتيجة فكل ذلك متروك لقصة حرب فلسطين الكاملة.

ولكن النتيجة التى عاد بها الجيش على أى حال.. هى المرارة والسخط والتصميم على تغيير هذه القيادات جميعا.. تغيير الأوضاع القائمة فى البلاد من أساساتها.

قاعدة للعمل

ولعل القارئ لم ينس أن هذه الحرب قد انتهت فى عهد عبد الهادى المعروف بعهد الإرهاب.

وفى هذا العهد، عادت القوات المصرية من فلسطين.. وقررت المجموعة أن تبدا العمل فورا، فقد كانت هذه هى اللحظات المناسبة فلا لتكون نقطة البدء فى العمل السرى الكامل الذى يؤدى إلى تغيير الأوضاع فى البلاد.

وكان لابد للمجموعة أن تتخذ لها قاعدة تعمل منها، أى أن تعمل على أن يستتب بعض رجالها فى مكان معين، وأن تحرص كل الحرص على بقاء هذه القاعدة حتى لا تعمل فيها يد التشتيت.

القبض على جمال

وبينما كانت المجموعة تفكر فى هذا الارتكاز فوجئت المجموعة بزيارة غير مرغوب فيها من الفريق عثمان المهدى" باشا" رئيس هيئة أركان حرب الجيش حينئذ، لمنزل جمال عبد الناصر.

ولم يكن الفريق عثمان المهدى وحده فى هذه الزيارة، فقد كان معه عدد من ضباط البوليس الحربى.

ولم يكن هدف الزيارة هدفا عاديا.. وأنما كان الهدف هو القبض على جمال عبد الناصر، وتفتيش بيته.

وقام رجال البوليس الحربى بالتفتيش، فلم يجدوا فى البيت سوى بضع طلقات.. فقد كان جمال عبد الناصر حريصا دائما.

أما جمال، فقد أصطحبه عثمان المهدى، إلى" دولة" إبراهيم عبد الهادى باشا رئيس مجلس الوزراء والحاكم العسكرى العام والمسئول الكبر فى عهد الإرهاب.

وهناك فى مكتب رئيس الوزراء والحاكم العسكرى العام، جرت مناقشة طويلة بين جمال وبين عبد الهادى... فقد وجه عبد الهادى لجمال تهمة التعاون مع الأخوان المسلمين مستدلا على ذلك بأنه ــ أى جمال ــ قد قام بتدريب بعض شبان الأخوان على السلاح، أثناء الحرب وقبيل قيامها.

أما جمال... جمال الثائر الذى كان عائدا من الفالوجا.. فلم يكن لديه من الصبر ما يمكنه من عدم الاحتداد فى المناقشة على الحاكم العسكرى العام.

ولعلها كانت مفيدة.. فقد تريث إبراهيم عبد الهادى فى إصدار الأمر باعتقاله.. وارسل رسله يأتونه بأخبار جمال.. ثم أفرج عنه فورا.. لانه أدرك أن لهذا الضابط شخصية معين بين

ضباط الجيش، وأن له كيانا خاصا فى صفوفهم، فخشى أن يعتقله، فتكون القشة التى تقصهم ظهره، وظهر العهد من بعده.

القاعدة فى القاهرة

وانتهينا من هذه المشكلة.. وبدأنا فى التكوين.ز تكوين القاعدة أولا..

وكانت القاعدة مكونة ــ كما قررنا ــ من جمال وعبد الحكيم وزكريا محيى الذين وصلاح سالم.

واستطاع كل منهم أن يجد له مكانا شبه ثابت فى القاهرة

فجمال، وكان برتبة صاغ فى ذلك الوقت قد عين فى مدرسة الشئون الإدارية بالجيش.

وعبد الحكيم عين فى مدرسة المشاة.

وزكريا عين فى الكلية الحربية.

وصلاح أستقر فى وحدته بالقاهرة.

وفى الأيام التى تلت ذلك، فرغنا من وضع أساس التنظيم كله.

الأهداف والنظام

فأسمينا أنفسنا بالضباط الأحرار.ز الأحرار فى كفاحهم فى سبيل الحياة، والأحرار فى سعيهم إلى تحرير وطنهم من الاستعمار والاستقلال والفساد، وكذلك الأحرار من الانتماء إلى أى هيئة أو جمعية أو تشكيل معروف.

ووضعنا أهداف التشكيل وطبعناها.. وتم توزيعها فعلا على الضباط الأساسين فى التشكيل.. وظهر أسم" الضباط الأحرار" لاول مرة...

وكانت أهم الأهداف التى تضمنها هذا المنشور الأول:

- القضاء على الاستعمار الأجنبى وأعوانه من الخونة المصرين.
- تكوين جيش وطنى قوى.

- إيجاد حكم نيابى سليم.

وفى نفس الوقت، وضع النظام الأساسى للتشكيل على الوجه التالى:

- السرية المطلقة فى كل شىء.
- تخصيص كل ضابط من ضباط مجلس قيادة التشكيل لسلاح من أسلحة الجيش يكون هو المسئول عن تنظيمات التشكيل فيه.
- الأخذ بنظام الخلايا، ووجوب عقد اجتماعات الخلايا أسبوعيا وبانتظام.
- تكليف كل ضابط من ضباط مجلس القيادة بتقديم تقرير أسبوعى إلى المجلس يوضح فيه مدى تقدم التشكيل فى داخل سلاحه وعدد المنضمين وعدد من رئى استبعاده.
- وجوب ضم أعضاء جدد فى كل أسبوع.
- إصدار المنشورات بصفة منتظمة أسبوعيا.

وعلى هذا الوجه بدأ التشكيل مرحلته الحاسمة، وخطته المدروسة.. على أساس نظام معين، وأهداف واضحة وخلايا.. وقيادة كاملة.

www.anwarsadat.org